الفتح . على أن ما يهمُّنا من هذه القصيدة هو الجزء المتعلّق بمديح الرّسول ﷺ وفيه يقول :

و قالَ اللّهُ قد أرْسَلْتُ عَبْداً ... يقولُ الحقَّ إن نَفَعَ البَلاءُ
شهِدْتُ به فقُومُوا صَدِّقُوهُ ... فقُلْتُمْ لا نُجيبُ ولا نَشَاءُ
وجبريلٌ أمينُ اللهِ فينا ... و رُوحُ القُدْسَ ليسَ له كِفَاءُ
ألا أبْلِغْ أبا سُفْيَانَ عَنّي ... مُغَلْغَلَةً [1] فقد بَرِحَ الخَفَاءُ
بأنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْداً ... و عَبْدُ الدّارِ سادَتُها الإماءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّداً وأجَبْتُ عَنْهُ ... و عِنْدَ اللّهِ في ذاكَ الجَزَاءُ
أ تَهجوهُ ولَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُما الْفِدَاءُ
هَجَوْتَ مُبَارَكاً بَرًّا حَنِيفاً ... أمِينَ اللّهِ شِيمَتُهُ الوَفَاءُ
أ مَنْ يَهْجُو رسولَ الله منكُمْ ... ويمْدَحُهُ ويَنْصُرُهُ سَوَاءُ ؟
فإنَّ أبي وَ والِدَهُ وعِرْضِي ... لِعِرْض محمَّدٍ منكُمْ وِقاءُ

ونحن نرى في هذه الأبيات أن المديح لا يحتلُّ منها إلا مكاناً ضئيلاً ؛ صحيحٌ أنه تبدو فيه بعض المعاني الإسلاميّة ، مثل إشارته إلى جبريل وروح القدس أو إشادته ببعض صفات الرّسول ﷺ ، ولكن معظم الأبيات لا تكاد تختلف في معانيها وصياغتها عن الشّعر الجاهليّ ، ولعلّ لحسّان عذراً في ذلك ؛ فقد كان عليه أن يدافع مساجليه من الشُّعراء بمثل أسلحتهم . ولحسّان شِعر في وقعة بدر يناقض فيه خصوم الإسلام ؛ من أمثال ضِرار بن الخطّاب والحارث بن هشام المخزوميّ (أخي أبي جهل) وكعب بن الأشرف اليهوديّ وأبي سفيان بن الحارث ؛ ولكنه شِعر جاهليٌّ الطّابع حافِلٌ بالفخر الجارِح والسِّباب اللاذع ، حتى إن ابن هشام يقول بعد أن أورد قطعةً من شعره يعاير فيها الحارث بن هشام لفراره يوم بدر : « تركنا من قصيدة حسان

(١) المغلغلة : الرّسالة التي تسير من بلد إلى بلد .